على الغلاف

«أطلسي» العقد المقبل حروب استباقية تنتظر

كأن شيئاً لم يكن. في أقل من سنة، انتهت تداعيات الحرب الروسية ـ الجورجية وتوتر علاقة موسكو مع كل من واشنطن وحلف شمالي الأطلسي، لتبدأ صفحة جديدة هي أشبه بصفقة أميركية ـ روسية. صفقة يبدو أنها تتبلور عملياً بعد دعوة الحلف روسيا إلى المشاركة في قمّة لشبونة

مدفيديف ونجاد خلال لقائهما في باكو أمس (ديمتري أستاخوف ـ رويترز)

مدفيديف في لشبونة: هذا ثمن التقارب

ربى أبو عمو

أنْ تُدعى روسيا إلى المشاركة في قمّة حلف شمالي الأطلسي التي تنعقد في لشبونة اليوم، يعني إفساح الطريق أمام الانطلاقة الأكبر في العلاقات الروسية ـ الغربية، التي تعدّ استكمالاً لإعادة تشغيل مفتاح العلاقات بين واشنطن وموسكو، بعد تسلّم باراك أوباما الرئاسة.

ولا شكّ في أن موافقة روسيا على المشاركة، تنسجم مع الرغبة المشتركة في إغلاق كامل لتداعيات حقبة الحرب الباردة، والتعاطي مع حلف شمالي الأطلسي، ندّ حلف وارسو السابق، من باب المصالح المشتركة، أو البراغماتية.

هذا التحوّل من علاقة نزاع بين روسيا وحلف شمالي الأطلسي، إلى أخرى تمهّد لتحالف، ليس إغواءَ شيطان، بل هو قفزة استراتيجية في العقل الروسي والغربي، تبلور من خلال صفقة روسية ـ أميركية غير معلنة، تجلّت أخيراً في مواقف عديدة تنتهجها روسيا، منها موقفها حيال إيران.

صفقة وضعت مواضيع الخلاف على ميزان وازن بين مصالح الطرفين. فلم يكن إعلانُ روسيا تعليق بيع إيران صواريخ «أس 300» خدمة مجانية لواشنطن، بقدر ما كان رداً على المقابل الذي يبدو أن روسيا حصلت عليه، أهمّه تغيير اتجاه خطة الدرع الصاروخية والسعي إلى نشرها في تركيا، بعدما كانت موجهة ضد روسيا، إضافة إلى تسليم غربي بتدخلات روسيا في عدد من بلدان الاتحاد السوفياتي السابق، الأمر الذي تجلى باسترجاع النفوذ الروسي على عدد من هذه الدول، من دون تدخل أو انتقادات أميركية أو غربية، ومن دون ثورات ملونة.

كانت دعوة روسيا إلى المشاركة في قمّة لشبونة تلبية للتغير الذي طرأ على العقل الروسي والغربي، وحاجة كليهما إلى الآخر، حتى لم يكن مستغرباً كلام الأمين العام للحلف أندرس فوغ راسموسن، الذي بدا شديد الحرص على التعاون مع روسيا، «أنا مقتنع بأن روسيا تقاسمنا وجهات النظر في أن الوقت قد حان لوقف القلق المتبادل والعمل المشترك، وسنفعل ذلك. آمل أن نبدأ بالتعاون في مجال الدفاع الصاروخي، وهذا سيكون قراراً واعداً يساعد في بناء الثقة، وسيؤثر إيجاباً على الأمن الأوروبي. سنتفق بشأن تقويم تهديدات القرن الـ21، وستكون هذه المرة الأولى التي سنتوصل فيها إلى تقويم مشترك. وسنعزز تعاوننا بشأن أفغانستان ومكافحة الإرهاب والقرصنة».

تأتي هذه التطورات في العلاقات الروسية ـ الأميركية والروسية ـ الأطلسية بعد مرحلة من الجمود التام على خلفية حرب جورجيا في آب عام 2008، حين اصطفّت الولايات المتحدة وحلفاؤها لتندّد بروسيا وتدينها. بقي الوضع على حاله حتى جاءت الانطلاقة الجديدة في العلاقة بين موسكو وواشنطن، التي دشنها الثنائي الشاب مدفيديف ـ أوباما، وتجلّت في الاتفاق على «ستارت 2» في نيسان الماضي.

تبعت «ستارت2» خطوات أخرى في سياق علاقة روسيا مع أميركا والغرب، شملت تأييد الأولى فرض عقوبات جديدة على إيران، ومشاركة الغرب قلقه من طموحات طهران النووية. مواقف عدّها البعض تنازلاً روسياً للغرب، فيما رآها البعض الآخر مجرد «مساومة»، لكنها في كل الأحوال تطرح تساؤلاً عمّا إذا كان ما يجري مقدمات لتغيير في الاستراتيجية الروسية حيال طهران، أو مجرد توسيع روسي لهامش المناورة الذي كان هناك توافق ضمني عليه مع الجمهورية الإسلامية.

ورغم الخطاب الحاد الذي اعتمده الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد على خلفية تعليق صفقة الصواريخ، بدا ديمتري مدفيديف هادئاً خلال لقائه نظيره الإيراني في باكو أمس، وأكد أهمية الطابع «السلمي» للبرنامج النووي الإيراني.

ملفات عديدة تناقشها قمّة لشبونة، منها الاستراتيجية الجديدة لحلف شمالي الأطلسي، الوضع في أفغانستان، وتحديداً توسيع نطاق نقل شحنات الحلف غير العسكرية عبر الأراضي الروسية، إضافة إلى الأمن. وانطلاقاً من هذه الملفات، تدرك روسيا حاجة حلف الأطلسي إليها، لناحية توفير طرق إمدادات بديلة. أما في الملف الأمني، فلا شكّ في أن تغيير خطة نشر الدرع الصاروخية هو أحد الانتصارات الروسية، وخصوصاً أن راسموسن لم يحصر الخطر الذي يهدد الحلف في إيران وحدها، بل أعلن وجود نحو 30 دولة تهدّد دول الأطلسي، منها إيران.

وفي السياق، يقول نائب مدير برنامج روسيا وأوروآسيا في معهد «كارنيغي»

تركيا نجم قمة اليوم

لم يتأكّد بعد الرد التركي على مشروع توسيع نظام الدرع الصاروخية للحلف الأطلسي. في جميع الأحوال، ستحسم قمة لشبونة جزءاً من الجدل الحاصل بشأن ما إذا كانت أنقرة قد نقلت وجهة دبلوماسيتها إلى الشرق، أو أن أولويتها لا تزال أوروبية

أرنست خوري

بدا أنّ تركيا حقّقت نصراً دبلوماسياً باكراً سبق بدء أعمال قمة حلف شمال الأطلسي. «الانتصار» الذي كشفت عنه الصحف التركية، أمس، يُترجَم بتلبية قادة «الأطلسي»، وخصوصاً الولايات المتحدة، أحد الشروط التركية على الموافقة في المشاركة بالدرع الصاروخية المنوي توسيعها لتضم بولندا ورومانيا وتركيا، وهو أن تغيب كلمة إيران عن البيان الختامي الذي سيصدر عن القمّة وعن الوثائق الرسمية التي ستضع تفاصيل المشروع. لكن شرط عدم ذكر إيران كدولة ينبغي الاحتماء منها من طريق الدرع لم يكن الشرط التركي الوحيد، لذلك لم تُحسَم بعد نتيجة لقاءات اليوم وغداً في لشبونة، وسط إلحاح طهران على أنقرة لترفض المشاركة بدرع «هدفه الوحيد هو حماية إسرائيل».

وكشف دبلوماسيون أتراك لصحيفة «توداي زمان» عن أنّه لن يورَد اسم إيران في الشق المتعلق بالدرع الصاروخية في البيان الختامي، ولا في وثائقِ الحلف التي ستكون أشبه بعقد توضع فيه التفاصيل القانونية والتقنية المتعلقة بالدرع الصاروخية. وبحسب المصادر نفسها، فإنّ أنقرة تدرك أن المسؤولين الأميركيين سيواصلون تفسير موجبات توسيع وربط الأنظمة الصاروخية للدول الأعضاء في الحلف الأطلسي بـ«الخطر الإيراني»، لكن هذا «لا يلزم تركيا وعمل النظام الصاروخي الموحد بأي شيء». بناءً على ذلك، فإن تركيا ستتجاهل التصريحات الأميركية المتوقعة ضد إيران، بما أنه وفق الاتفاق المبرَم قبل انعقاد قمة لشبونة، فإنّ العبارة التي ستُستخدَم عند الحديث عن مبررات الدرع الصاروخية ستكون «الاحتماء من مخاطر محتمَلة». وقال مصدر تركي للصحيفة نفسها إن «تركيا ليست ضد فكرة مشروع الدرع ولا ضد التحرك ضد إيران إذا اعتدت على أي من الدول الـ28 الأعضاء في الحلف الأطلسي. لكن بما أن هدف المشروع هو لجم أي تهديد قد ينشأ في المستقبل، فلماذا ذكر دول بعينها؟».

وسبق لوزير الخارجية أحمد داوود أوغلو أن هيّأ الأجواء للتوصل إلى اتفاق في لشبونة، عندما أكّد أن تركيا لا تعدّ قرارها بمثابة اختيار بين إيران والولايات المتحدة، من دون أن ينسى التلويح بأنه، في النهاية، تركيا «ليست خائفة من أن تكون وحدها في رفض المشاركة في الدرع الصاروخية الأطلسية إذا لم تتحقق مطالبها المحقّة».

لكن بدا أن الجهد الدبلوماسي التركي لم يكن كافياً لطمأنة إيران التي خرجت عن صمتها، محذرة من هذا المخطط الذي «يهدف إلى حماية إسرائيل»، على حد وصف المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية رامين مهمان برست. ونقلت وسائل إعلام إيرانية عن مهمان برست قوله، يوم الثلاثاء الماضي، إن «الهدف الرئيسي من هذا الإجراء هو دعم الكيان الصهيوني وحمايته من الاعتداءات».

وفي حديثه عن المشاركة التركية في المشروع، تمنّى المسؤول الإيراني على أنقرة منع نشر هذا النظام الصاروخي من خلال المفاوضات والمشاورات، لأن «إيران لا تمثّل أي تهديد لدول المنطقة، ولأن التهديد الحقيقي هو إسرائيل».

إذاً، انتهت مشكلة تحديد هوية الخطر بالنسبة إلى تركيا، لتبدأ معركة دبلوماسية جديدة في قمة لشبونة. معركة سيتولاها من الجانب التركي كل من الرئيس عبد الله غول وداوود أوغلو ووزير الدفاع وجدي غونول. وقد يكون غياب رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان عاملاً إيجابياً بالنسبة إلى زعماء دول «الأطلسي»، بما أن رئيس الحكومة هو أبرز «الصقور» المتشددين في ما يتعلق بوضعية بلاده إزاء مشروع الدرع الصاروخية.

وكان أردوغان قد انتهز مشاركته في قمة دول العشرين الاقتصادية في كوريا الجنوبية، ليضع الرئيس الأميركي باراك أوباما في صورة «التحفظات» التركية إزاء المشروع الصاروخي، بحسب صحيفة «جمهورييت».

متظاهر تركي ضد مشاركة بلاده في «الدرع الصاروخية» (عثمان أورسال ـ رويترز)